مجالس ايليا مطران نصيبين

نشرها الاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

المجلس الثاني

ذكر ما جرى من الكلام في حلول ابن الله واتحاده بالطبيعة البشرية

ولمَّا كان يوم الاحد بعدهُ انفذ الوزير في طلبي فحضرتُ اليه (٢٧) وبعد استعلامه اخباري واقاويل جميلة اوردها عليَّ دعوتُ لهُ لاجلها قال لي:

اعلم انني فكَّرتُ في ما اوردتهُ في توحيد النصارى وانما عرضتْ لي شبهة اخرى تقتضي الشكَّ فيهم

قلت: يذكرها الوزير ايَّدهُ الله لأقول ما عندي فيها

قال: أليس النصارى يقولون بالاتحاد؟

قلت: نعم

قال: وكيف يصحُّ لكم التوحيد مع قولكم أنَّ الله تعالى حلَّ في البشري المأخوذ من مريم وانتم تعلمون انَّهُ ليس يخلو ان يكون قد حلَّ فيهِ كحلول العرَض في الجوهر وهذا ممَّا يؤدي الى القول انَّ الله تعالى عرَض او كحلول الجسم في الجسم وهذا دليل بانَّ الله جسم والقولان كفر. ثمَّ ليس يخلو ايضاً ان يكون الجوهر الالهي كلَّهُ على الكمال حلَّ في البشري المأخوذ من مريم او بعضهُ فان كان كلَّهُ حلَّ فيهِ فقد انحصر (٢٨) وان كان حلَّ بعضهُ فقد تجزَّأ وتبعَّض والقولان كفر

قلتُ: ان حلول البارئ سبحانهُ وتعالى في البشري المأخوذ من مريم لم يكن كحلول العرض في الجوهر لأنهُ تعالى ليس بعرض ولا كحلول الجسم في الجسم لانهُ ليس بجسم ولم يحلَّ الجوهر كلَّهُ على الكمال ولا بعضهُ لانهُ لا ينحصر في مكان دون مكان ولا يتجزَّأ ولا يتبعَّض فيحصل بعضهُ في مكان وبعضهُ في مكان آخر لكن حلولهُ تبارك وتعالى كان بحلول الوقار والرضا والمشيئة لا حلول الذات والجوهر لأنَّ ذاتهُ وجوهرهُ في كلِّ مكان بالسويَّة وانما يحلُّ في مكان دون مكان وفي شخص دون شخص بحلول الوقار والرضا والمشيئة كحلولهِ في السما دون

الارض وفي البيوت المتخذة لعبادته دون غيرها وفي الانبياء والمصطفين دون غيرهم من البشريين (١

قال : ان كان حلول البارئ في البشري (٢٩) المأخوذ من مريم حلول الوقار والرضا والمشيئة كحلوله في الانبياء والابرار الذين حلّ فيهم برضاه ومشيئته فلا فرق بينهُ وبينهم وان لم يكن بينهُ وبينهم فرق فما يجب ان تقضاوهُ عليهم (٢

قلتُ : انَّ اسم الحلول من الاسماء المشتركة التي يقع كل اسم منها على اشياء مختلفة مثل اسم الوجود الواقع على البارئ تعالى وعلى الانسان وعلى الارض والنار والحجر وغير ذلك من الموجودات ومثل اسم الحيوان الواقع على الانسان والثور والحمار وغير ذلك من الحيوانات . وكما لا يداني الانسان البارئ تعالى وان كان اسم الموجود يقع عليهما معاً كذلك الانبياء لا يدانون البشري المأخوذ من مريم لوقوع الحلول فيهِ وفيهم (٣٠) . لان الحلول فيهِ كان حلول الاتحاد الذي لا يلحقهُ افتراق وحلول الرضا والمشيئة الكاملة والحلول فيهم غير حلول الاتحاد وغير حلول الكمال (١ . ولو جاز ان يساوي بعضُ الانبياء البشريَّ المأخوذ من مريم لاجل وقوع اسم الحلول عليهما معاً لجاز ان يساوي تلاميذُ المسيح سيّدهم في البنوّة لوقوع اسم البنوّة عليهم وعليهِ من موجب قولهِ «أصعد الى ابي وابيكم والهي والهكم» . فكما قال انَّ الله تعالى ابوهُ وابوهم وهم غير متساوين في البنوّة كذلك يقال انَّ الله حلّ فيهِ وفي الانبياء

---

١) هذه البدعة النسطوريّة بينها فاتحا تجعل المسيح انساناً اتّحد معهُ الله اتحاداً عرضياً . وليس حلول الوقار والرضا والمشيئة الّا اتحاداً عرضياً لا يختلف عن اتحاد الله مع الانبياء والابرار الّا في الدرجة فقط . وان كان الامر كذلك يطل كلّ سرّ تجسُّد ابن الله وكلّ سرّ الفدى . والصواب انّ اللاهوت كلّهُ بجوهرهِ واقنوم ابن الله قد حلّ في السيّد المسيح وان كان حلولهُ لم ينحصر في شخص السيّد المسيح لوجودهِ كلّهِ في كلّ مكان . وقد قام لهُ جوهرهُ وذاتهُ الالهيّان مقام الاقنوم البشري بحيث يجوز ان يُنسب الى الله كلّ فعل يفعلهُ المسيح سواء كان بطبيعتهِ الالهيّة او بطبيعتهِ البشريّة . فيجوز القول إنَّ الهاً ولد في بيت لحم من مريم العذراء التي يحقّ لها ان تُدعى امّ إله وإنَّ الهاً مات على الصليب كما يقال انَّ الهاً صنع المعجزات وشفى المرضى واقام الموتى . لنا في ذلك مثال حسن في الانسان وتركيبهِ من جسد ونفس اذ يُعزى الى شخص واحد ما تصنعهُ النفس كالفكر والارادة وما يصنعهُ الجسد كالاكل والنوم

٢) هذا الاعتراض في موقعهِ وهو يبطل المزاعم النسطوريّة . من اصلها ل . ش

من غير ان يساويهُ الانبياء في الحلول(١ فانَّ الحلول فيهِ يتميز من الحلول في الانبياء. والابرار لاسباب عدَّة: منها انَّ الابن الازلي الذي هو الكلمة اتَّحد معهُ فصار مسيحاً واحدًا (٢ فلذلك نسميه نحن المسيح وتسمُّونهُ انتم كلمة الله(٣١) وليس في الانبياء من يُسمَّى عندنا وعندكم كلمةَ الله الَّا المسيح من موجب الاتحاد. ومنها انهُ لم يكن من جماع ولا عرف الجماع. ومنها انَّ لهُ من الآيات ما ليس لغيرهِ من الانبياء. والمُصطفَين. ومنها انَّ الله رفعهُ الى السماء وهو هناك حيّ وليس في الانبياء من رفعهُ الله اليه. ومنها انهُ لم يعرف الخطيئة لا فكرًا ولا قولًا ولا فعلًا وليس في الانبياء من شهد لهُ الكتاب بمثل ذلك. واذا كانت هذه اوصافهُ وجب ان يكون الحلول فيهِ غير الحلول في غيرهِ (٣

قال: انَّ هذه الاوصاف كلها التي تنسبونها الى هذا البشري قد توجد جميعها في الانبياء. وذلك انَّ قولكم انَّ المسلمين يسمُّونهُ كلمة الله فذلك لانهُ خُلق بامر الله كما خُلق كلّ شيء. (٣٢) من الاشياء بان قال لهُ كُنْ فكان. وقولكم انهُ من غير جماع فآدم ايضاً كان من غير جماع. وقولكم انهُ لم يعرف الجماع فيحيى بن زكريا لم يعرف الجماع. وقولكم انَّ لهُ آياتٍ ومعجزاتٍ تفرَّد بها فليس لهُ آية ولا معجزة الَّا ولموسى مثلها. وقولكم انهُ رفعهُ الله اليهِ الى السماء فادريس (٤ ايضاً رفعهُ الله اليهِ الى السماء. وقولكم انهُ لم يعرف الخطيئة فسائر الانبياء معصومون من الخطيئة (٥ . واذا كان هؤلاء الانبياء قد ساووهُ في هذه الاوصاف وجب ايضاً

١) ليس هذا الجواب متنًا طالما يبقى هذا الحلول متفاوتًا بالدرجة فقط ويُعتبَر حلول الله في السيد المسيح حلول وقار ورضًا ومشيئة. ولا يفيدهُ استنادهُ الى كلام الانجيل «أصعد الى ابي وابيكم والهي والهكم» فانَّ هناك اشارة الى طبيعتهِ الانسانيَّة التي تمَّ صعودها في ذلك اليوم الى السماء ورافقت الطبيعة الالهيَّة التي لم تبرح السماء. فدعا الله اباهُ والهُ بالنسبة الى طبيعتهِ البشريَّة وان صحَّ ذلك ايضاً بالنسبة الى بنوَّتهِ الازليَّة من الآب واشتقاق لاهوتهِ ازليًّا منهُ

٢) فهذا ينقض قولهُ السابق. لانهُ لا يمكن اتحاد الكلمة مع ناسوت المسيح بحيث يصير مسيحاً واحدًا الَّا بأن يكون الاتحاد جوهريًّا في ذات اقنوم ابن الله — ل. ش

٣) او بالحري وجب ان يكون ذلك الحلول اتحادًا ذاتيًّا جوهريًّا بابن الله.

٤) ادريس عند المسلمين هو على رأي البعض اخنوخ الذي ذكرهُ سفر التكوين (٥: ٢١-٢٤) وعلى رأي غيرهم النبيّ مار الياس الذي توارى في الملوّ على مركبة نارية (٤ ملوك ٢: ١١)

٥) انَّ الانبياء معصومون عن الضلال في وحيهم ولكن ليسوا معصومين عن الخطيئة. فان الاسفار المقدسة تذكر خطايا لبعض الانبياء كداود وسليمان — ل. ش

ان يساووهُ في الحلول واذا كان الامر هكذا فلا فضيلة لهُ عليهم

قلتُ : لو كان الامر على ما يزعم المسلمون انهم انما يسمُّون المسيح كلمةَ الله لانهُ خُلق بأمر الله كالمخلوقات كلها فهذا ينتقض اذ لو كان ذلك ما كان بينهُ وبين سائر المخلوقات فرقٌ لانَّ كلًّا منهم حتى الدوابّ وسائر الاجسام البديعة الحياة خُلق بامر الله . ولو كان ذلك كذلك لما كان لتخصيص المسيح بهذا الاسم معنًى ومن المُحال (٣٣) ان يختصَّ باسم لم يختصَّ بهِ غيرهُ دون معنًى . واذا ثبت انهُ لم يُسَمَّ كلمة الله لانهُ خُلق بامر الله ثبت انهُ انما سُمّي كلمة الله لاتحاد الكلمة الازليَّة معهُ كما يُسمَّى الجسد ناطقًا لاتحاد النفس الناطقة معهُ (١

واما قولكم انهُ لا فرق بينهُ وبين آدم في كونهما من غير جماع . فجوابهُ انَّ كون آدم من غير جماع ليس هو بفضيلة لآدم اذ خُلقت كلّ الحيوانات الاولى ايضًا من غير جماع . وذلك انَّ آدم كان من غير جماع في وقت لم يكن فيهِ ذكر وانثى يكون منهما . والبشريُّ المأخوذ من مريم تفرَّد في ذلك في وقت كان فيهِ عدد الذكور لا يُحصى فيمكنهُ ان يكون من نسل احدهم . ولأن الله اظهرهُ في مثل ذلك الوقت من غير ذكر فقد شرَّفهُ (٣٤) بذلك على جميع البشر . ثمَّ انَّ المسيح قد فضل على آدم وعلى سائر البشريين لانَّ آدم خالف ربَّهُ وعصاهُ في الفردوس والناسوت المصطفى من مريم لم يعرف الخطيئة اصلًا . وآدم أُبعد من الجنَّة وقد رُفع المسيح الى السماء . ثمَّ ان آدم توعَّدهُ الله بالكدّ والشقاء والجوع والتعب والعودة الى الرميم والتراب . والمسيح شرَّفهُ الله وعظَّمهُ واعطاهُ اشرف الاسماء واجلّ الالقاب ووعد تابعيهِ بالنعيم في الجنَّة . فاذا كان (٣٥) على هذا الحال فليس ينبغي ان يقاس البشري المأخوذ من مريم بآدم وان تساويا في الجوهريَّة والبشرية (٢

---

١) وهذا يقتضي ان يكون اتحاد كلمة الله بناسوت المسيح اتحادًا ذاتيًا باقنوم ابن الله على خلاف ما زعم صاحب المجالس . ألا ترى في الانجيل انَّ السيِّد المسيح ينسب الى نفسهِ كلَّ صفات اللاهوت بل يؤكد انهُ هو والآب واحد (يوحنا ١٠ : ٣٠) . وهذا كلُّهُ يسقط لو كان الاتحاد بالوقار والرضا والمشيئة فقط كما يزعم النسطرة ل . ش

٢) قولهُ انَّ المسيح وآدم تساويا في الجوهريَّة والبشريَّة يُشعر ايضًا بالبدعة النسطوريَّة فانَّ جوهر المسيح هو ذات جوهر ابن الله وجوهر الاقنوم الثاني الالهيّ الذي اتحد الطبيعة البشريَّة بكل خواصها ونقائصها وظلها الا الخطيئة وضمَّها الى طبيعتهِ الالهيَّة ل . ش

وقولكم لا فرق بينهُ وبين يحيى بن زكريا في العفَّة من الجماع وانهُ لم يختص بهذه الفضيلة وحدهُ . فانَّنا انَّما اردنا كون المسيح جمع في شخصهِ الفضيلتين معاً اي الكون من غير جماع والعفَّة من الجماع . لانَّ آدم لم يكن من جماع لكنهُ عرف الجماع ويحيى ابن زكريا لم يعرف الجماع لكنهُ ولد من جماع . والناسوت المأخوذ من مريم لم يكن من الجماع ولا عرف الجماع وهذه الفضيلة ليست لآدم ولا ليحيى

وقولكم انهُ لم يكن للمسيح شيءٌ من الآيات والمعجزات الَّا (٣٦) ولموسى مثلها ينتقض لانَّ موسى لم يذكرهُ بعضُ من تقدَّمهُ من المصطفين . ولمَّا ارسلهُ الله الى فرعون لم يظهر الله على يدهِ معجزةً على الفور ولكن عن امرٍ من الله او بعد تضرُّع . وفي آخر عمرهِ غلط غلطاً منعهُ الله لاجلهِ من الدخول الى الارض المقدَّسة . فتضرَّع وسأل وابتهل ان يغفر لهُ ويسامحهُ بالدخول اليها فلم يُقبل سؤالهُ . وامَّا السيد المسيح فانَّ الانبياء ذكروهُ وبشَّروا بهِ قبل ظهورهِ باكثر من النبي سنة وقالوا فيهِ انهُ هو المنتظر وصاحب الامر والمرتجى للامم . وكانت آياتهُ ومعجزاتهُ على الفور ولا على التراخي ومن غير تضرُّع الى الله مثل قولهِ للميت «قم» فيقوم وللمُقعَد «انتصب» فينتصب وللابرص «شنتْ فاطهرْ» فيطهر . وللمريض «قد برئتَ» فيبرأ . وللاعمى «قد أُعطيت البصر» فيبصر وللشيطان (٣٧) «اخرج من الانسان» فيخرج ولهيجان البحر «اسكن» فيسكن وغير ذلك ممَّا نطق بهِ الانجيل المقدَّس . وقد شهد القرآن انهُ تكلَّم في المهد وانهُ كان يعمل من الطين كهيئة الطير وينفخ فيهِ فيكون طيراً (سورة آل عمران ع ٤١—٤٣) . وما سبيل من كان يعتقد ذلك من المسلمين ان يقيس امر موسى بالمسيح في امر الآيات والمعجزات التي جرت على ايديهما (١

وقولكم انهُ لا فرق بين المسيح وبين ادريس في وضعهما قرودود من موجب الانجيل عند النصارى ومن موجب القرآن عند المسلمين لانَّ الانجيل لا يدلُّ على انَّ ادريس في السماء والقرآن ايضاً وان كان يدلُّ على انهُ رُفع الى مكان عليّ (سورة مريم ع ٥٧—٥٨) الَّا انهُ لم يذكر انهُ في السماء . فامَّا المسيح فيدلُّ الانجيل على انهُ رُفع

(١) ويضاف الى قولهِ أنَّ موسى لم يمكنهُ ان يمنح لغيرهِ صنع المعجزات على خلاف السيد المسيح الذي اعطى لتلاميذهِ تلك النعمة فنالوا كما فعل المسيح بل اجترحوا باسمهِ معجزات لم يجترحها هو كما كان وعدهم بذلك ل . ش

الى اعلى السماوات ويدل القرآن ايضاً عليه (سورة آل عمران ع ٨) بقوله «يا عيسى اني متوفيك ورافعك (٣٨) اليَّ ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة» . فبقوله «رافعك اليَّ» يدل على رفعه الى غاية العلو والعظمة في المنزلة . فاذا كان الامر على هذا قليس يقاس امر المسيح في ارتفاعه الى السماء بامر ادريس

وقولكم انهُ لا فرق بينهُ وبين سائر الانبياء في العصمة من الخطيئة . فجوابهُ انَّ الخطيئة تكون لمَّا بالفكر واما بالقول واما بالفعل وليس في الانبياء من يشهد لهُ الكتاب بالعصمة من السهو والغلط في فكره وقوله وفعله . والانجيل وكتب الانبياء الذين بشَّروا بالمسيح تدلُّ على انَّهُ لم يعرف الخطيئة لا فكرًا ولا قولًا ولا فعلًا

فاذا كان الامر هكذا وكان البشري المأخوذ من مريم قد اتحد مع الابن الازلي الذي هو الكلمة وصار مسيحًا واحدًا وليس كذلك سائر الانبياء والصالحين وجب القول (٣٩) ان تكون فضيلة الحلول متميزة فيهِ من الحلول فيهم كتمييزه بينهم (١) . . . تمَّ المجلس الثاني بعون الله وارشاده

المجلس الثالث

في اقامة الدليل على توحيد النصارى من القرآن

وفي يوم الثلثاء مستهلّ جمادى الآخرة حضرتُ مجلس الوزير فقال لي: تأملتُ ما اوردتهُ في معنى توحيد النصارى فاستحسنتهُ ثمَّ رجعتُ الى القرآن الشريف فوجدتهُ يدفعهُ بقولهِ (سورة المائدة ع ٧٢) : «لقد كفر الذين قالوا انَّ الله ثالث ثلثة» وهو يصفهم في مواضع كثيرة بالشرك

قلتُ : ليس يلزمني أيد الله الوزير ما ورد في القرآن ومع انهُ لا يلزمني ذلك فانا أقيم الدليل منهُ على انَّ النصارى موحدون . وذلك انا نجدهُ تارةً يشهد لهم بالتوحيد

(١) ليست هي فقط متميزة بل هي مختلفة جدًّا منهم لانَّ حلول الله في الانبياء انما كان مرضيًّا موقتًا ادبيًّا بخلاف حلول الكلمة في ناسوت السيد المسيح الذي كان ذاتيًّا جوهريًّا ازليًّا بحيث يقوم اقنومهُ الالهي فيهِ مقام الذات البشرية جامعًا بين الطبيعتين الكاملتين الالهية والانسانية

ونارةً بالشرك . واذا كان الامر على هذا فليس يخلو ان يكون اما متناقضاً واما ان يشير بالتوحيد الى طائفةٍ منهم وبالشرك الى طائفةٍ أخرى . وبما اظنّ انّ في المسلمين حسبهم الله من يقول انّهُ متناقض فيلزم القول انّ المراد بوصفهِ النصارى بالتوحيد اشار الى طائفةٍ منهم وبالشرك الى طائفةٍ أخرى . فامّا الموحّدون الذين يشهد القرآن بتوحيدهم (٣٩) ونعرف انّهم مقرّون بانّ الله واحد فنحن (اي الناطرة) واليعقبة والملكيّة ومن يجري مجرانا من النصارى . واما المشركون منهم فقوم يتشبّهون بالنصرانيّة كالمرقيونيّة والديصانيّة والمانويّة والطريثونيّة(١ اي المثلثة وغيرهم ممّن ينتسب الى النصرانيّة وهم برئيون منها ويحيدون عنها . فامّا المرقيونيّة فيعتقدون ثلثة آلهة الها عدلاً والها رحيماً والها شريرًا . واما الديصانيّة والمانويّة فيقولون باصلين والهين احدهما خالق الخير والنور والآخر خالق الشرّ والظلمة . واما الطريثونيّة اي المثلثة فيقولون بثلثة آلهة وثلثة ارباب وثلثة معبودين وثلثة جواهر ونحن نعتقد فيهم وفي المرقيونيّة والديصانيّة والمانويّة انهم مُلحدون ومخالفون الشرع . واما الاقاويل الدالّة على توحيدنا من القرآن فمن ذلك ما ورد في سورة البقرة(٤٠) حيث يقول (ع ٥٩) : «انّ الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم اجرهم عند ربّهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون» فقد دلّت هذه الآية على انّ «من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهُ اجرهُ عند ربّهِ ولا خوف عليهِ ولا يحزن»

قال : قد اختلف المفسّرون في هذه الآية فقال بعضهم نُسخت بقولهِ (آل عمران ع٧٩) : «ومن يبتغِ غير الاسلام ديناً فلن يُقبَل منهُ وهو في الآخرة من الخاسرين» . وقال آخرون انّ المراد بها هو انّهُ انّما يستحقّ اليهود والنصارى والصابئون الاجر في الآخرة اذا أسلموا لا اذا كانوا على اديانهم

قلتُ : انّما قولُ من قال انّ صيغة هذه الآية منسوخة ينتقض بما اذكرهُ وهو (٤١) انّ الكلام ينقسم على اقسام فمنهُ خبرٌ ومنهُ استخبار ومنهُ طلبٌ ومنهُ إنذار ومنهُ أمرٌ . والنسخ لا يقع الّا في الامر لانهُ لو وقع في الخبر او غيرهِ من

١) المرقيونيّة شيعة مرقيون المبتدع الذي عاش في القرن الثاني للمسيح . والديصانيّة مذهب برديصان (اطلب للشرق ١٨ (١٩٢٠) : ٩٧٢-٩٩٣) . والمانويّة بدعة حالي الذي ظهر في العجم في القرن الثالث للميلاد . امّا الطريثونيّة فبدعة لبعض الفرائقة في القرن الرابع مشتق اسمها من اللاتينيّة (Tritheismus) اي القائلون بثلاثة آلهة

اقسام الكلام غير الامر كان اختلافاً وتضاداً . وانما جاز وقوع النسخ في الامر لانهُ يتضمن في الامر فيأمر الآمر بامرٍ ما في وقتٍ ما لمصلحةٍ يوجبها ذلك الوقت . ويأمر بهِ ذاك الوقت بغير ذلك الامر لمصلحةٍ أخرى . فاما من يُخبر بخبرٍ ما ثم يُخبر بغير خبرهِ فقبيح ولذلك جاز وقوع النسخ في الاوامر دون غيرها من اقسام الكلام . والاوامر على ضربين : فرائض وغير فرائض والنسخ لا يقع الا في الفرائض . والفرائض على ضربين : منها عقليَّة مثل فرض التوحيد وفرض شكر النعم وطاعة الوالدين وصلة الرحم . ومنها سمعيَّة مثل تعظيم يوم (٤٢) بعد يوم وإجلال موضع دون موضع وتحريم طعام دون طعام وغير ذلك من الفرائض السمعيَّة فلا يقع النسخ الا فيها دون العقليَّة لانهُ يستحيل ان يُنسخ فرضُ التوحيد او فرضُ شكر النعم او فرض طاعة الوالدين او فرض صلة الرحم . واذا كان النسخ لا يقع الا في الاوامر وكانت هذه الآية إخباراً لا امراً بطل ان تكون منسوخة . ومما يدلُّ على انها لم تُنسخ انهُ ورد في القرآن قولهُ (سورة المائدة ع٥) : « اليوم اكملتُ لكم دينكم وأتممتُ عليكم نعمتي » . وما بعد التمام والكمال شيء آخر

واما قول من يقول انَّ المراد بآية البقرة انما هو انَّ اليهود والنصارى والصابئين يستحقُّون الأجر في الآخرة اذا اسلموا لا اذا كانوا على اديانهم فيبطل ايضاً لانهُ لو كان المراد فيها ذلك لما كان لذكر اليهود والنصارى والصابئين في الآية معنًى اذ لا فائدة (٤٣) في قوله « الذين آمنوا » الا ان يستوعب كل من يدخل في الايمان من اليهود والنصارى والصابئين وغيرهم والا لما بقي فرق بين قوله « الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين اذا آمنوا » وبين قوله « الذين آمنوا والذين آمنوا » وهذا تكرُّر لا يُفيد معنى وليس للمسلمين ان ينسبوا مثل هذا الى القرآن .

وايضاً فلو كان البذول في هذه الآية من الأجر في الآخرة لليهود والنصارى والصابئين مقروناً بشرط الدخول في الاسلام اوجب ان تكون المجوس والهنود اذا اسلموا خارجين عن الشرط وممنوعين من البذل ولزم انهُ لو اسلم بعضهم وغيرهم من عبدة الاصنام لا يُقبَل إسلامهُ لتخصيص اليهود والنصارى والصابئين بذلك . فاذا كان هذا عندهم غير واجب بطل ان تكون هذه الآية منسوخة ويبطل (٤٤) ان يكون البذول منها لليهود والنصارى والصابئين مقروناً بشرط الدخول في الاسلام

وثبت ان المراد بها هو انَّ من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً من اليهود والنصارى والصابئين لهم اجرهم عند الله ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون. واذا ثبت ذلك ثبت انَّ النصارى موحدون.

وقال الطبري في شرح هذه الآية: «انَّ الذين صدَّقوا الله ورسوله هم اهل الاسلام والذين هادوا هم اليهود. وانَّ من الصابئين من آمن بالله وقد بيَّنا امرهم والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وصدَّق بالبعث والنشور بعد الموت وعمل صالحاً لمعاده فلا خوف عليهم لما قدموا عليه من اهوال القيامة ولا هم يحزنون على ما خلَّفوه وراءهم من الدنيا وعيشها عند معاينتهم ما اكرمهم الله به من جزيل ثوابه». فقد دلَّ هذا القول من الطبري رحمهُ الله على انهُ كان يعتقد انَّ من آمن بالله واليوم الآخر من اليهود والنصارى والصابئين وعمل صالحاً استحقوا النعيم في الآخرة.

ومنها ايضاً قولهُ (سورة البقرة ع ٢٢٠): «ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنَّ». فلو كان النصارى مشركين لما جاز ان تُنكح بناتهم الا بعد أن يُسلمنَ. والآن هنَّ يُنكحن ولو بقين على مذهبهنَّ فعُلم بذلك انَّ النصارى غير مشركين(٤٥).

ويثبت ذلك بما ورد في سورة آل عمران (ع ١٩٠) ان: «ليسوا سواء من اهل الكتاب امةٌ قائمةٌ يتلون آيات الله أناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون الى الخيرات واولئك من الصالحين». فعلم انَّ الأمة القائمة المذكورة في هذه الآية هي بعض ملل اليهود او النصارى. والقرآن يشهد على اليهود بشدة العداوة وقساوة القلب والمكر ويشهد للنصارى بقرب المودة والسرعة الى الخيرات وعمل الصالحات وذلك مما يدلُّ انهُ بقوله «امة قائمة» قد اراد النصارى لا اليهود. فاذا ثبت ذلك ثبت ان النصارى موحدون لا مشركون.

وكذلك جاء في سورة الحج (ع ٤١): «ولولا دفعُ الله الناسَ بعضهم ببعض لهُدمت جوامع وبيَع وصلوات ومساجد يُذكرُ فيها اسمُ الله كثيراً». فلو كان النصارى غير موحدين لما شهد انهم يذكرون اسم الله في بيَعهم كما يذكرهُ المسلمون في مساجدهم اذ لا يذكر اسمَ الله (٤٦) الا الموحدون ولا كان يساوي بين المساجد والبيَع.

وفي السورة السابقة (ع ١٧): «انَّ الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين

والنصارى والمجوس والذين اشركوا انَّ الله يَفصل بينهم يوم القيامة » ومعلوم انهُ لو كان النصارى مشركين لَما ميَّز في هذه الآية بينهم وبين الذين اشركوا

وفي سورة التوبة (ع ٥) : « فاقتلوا المشركين حيثُ وجدتموهم » فهذه الآية توجب قتل المشركين حيث وُجدوا سواء أعطوا الجزية ام لم يعطوها . ويوجب القرآن حقن دماء النصارى وأكل ذبائحهم ومخالطتهم ومخالطتهم اذا اعطوا الجزية كما يحرّس المسلمون . وذلك مما يدلّ على انهم موحّدون لا مشركون

وفي سورة المائدة (ع ٧٠) : « ولو أنَّهم اقاموا التوراة والانجيل وما أُنزل اليهم من ربّهم لأكلوا مِنْ فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مُقتصدة وكثيرٌ منهم ساء ما يعملون » قال مجاهد (٤٧) : « انَّ الأمة المقتصدة هي مؤمنةُ اهل الكتاب وقال قتادة : اي من اهل الكتاب أمةٌ مقتصدة على كتاب الله واوامره . وقال السدي : هي المؤمنة . وقال ابن يزيد : المقتصدة هي اهل الطاعة لله من اهل الكتاب وهي ممَّن يقبل التوراة والانجيل » ولم يقبل التوراة والانجيل احدٌ سوى النصارى فهم اذن موحدون

وفي سورة المائدة (ع ٨٥) : « لتجدنَّ اشدَّ الناس عداوةً للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدنَّ اقربهم مودَّة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بانَّ منهم قسيسين ورهباناً وانَّهم لا يستكبرون » (٤٨) فقد ميَّز النصارى من المشركين في هذه الآية تميزاً يدلّ على انَّ النصارى موحّدون غير مشركين . وقال ابو جعفر الطبري في تفسير هذه الآية بعد ان اورد تأويلات المتقدّمين واختلاف المفسّرين فيها ما هذا شرحهُ : « ان الصواب في ذلك عندنا ان يقال انَّ الله تعالى اخبر عن النفر الذين اثنى عليهم من النصارى بقرب مودَّتهم لاهل الايمان بالله ورسوله وانَّ ذلك انما كان منهم لان منهم اهل دين واجتهاد في العبادة وترهّب في الاديرة والصوامع وانَّ منهم علماء بكتبهم واهل تلاوة لها فهم لا يبعدون من المؤمنين لتواضعهم للحق اذا عرفوهُ ولا يستكبرون قبوله اذا تبيَّنوهُ وليس كاليهود الذين قد تبدَّوا بقتل الانبياء والرسل ومعارضة الله في امره ونهيه وتحريف التنزيل الذي أُنزل في كتبه » . (٤٩) فقد دلَّت هذه الآية وتفسيرها على انَّ النصارى اقرب الناس مودَّة الى المسلمين وانَّهم مجتهدون في الطاعة لله وبالنتيجة انهم موحّدون لا مشركون

قال الوزير : انَّ النصارى المذكورين في القرآن غير نصارى هذا الزمان

قلت : لو كان النصارى المذكورون في القرآن غير نصارى هذا الزمان لَما وجب ان يُرضى منهم بالجزية المفروضة في القرآن والتي اخذوها من نصارى ذلك الزمان ولَما وجب ان تؤكل ذبائحهم وتُنكح بناتهم كما كانت تُنكح بنات اولئك وتؤكل ذبائحهم . واذ يجري المسلمون في هذا الزمان مع النصارى مجراهم مع النصارى المتقدّمين في الجزية والذبائح فثبت انهم النصارى المذكورون في القرآن . وهكذا فهمه مفسّرو القرآن ولم يفرقوا بين نصارى زمانهم ونصارى غيرهم كانوا في عهد القرآن . قال ابو جعفر الطبري في تفسير قوله (سورة المائدة ع ٧) : « اليومَ أُحلَّ لكم الطيّباتُ وطعام الذين أُوتوا الكتاب حلٌّ لكم » فسّرهُ الطبريّ بما نصُّهُ : « وطعام الذين أُوتوا الكتاب حلٌّ لكم وذبائح اهل الكتاب من اليهود والنصارى وهم الذين أُوتوا الكتاب (٥٠) اي التوراة والانجيل أُوتوا بهما او باحدهما حلٌّ لكم دون ذبائح اهل الشرك الذين لا كتاب لهم من مشركي العرب وعَبَدة الاصنام والاوثان ممّن لم يُذكر توحيدُهم كما كان دين اهل الكتاب فهؤلاء حرام عليكم ذبائحهم » . فقد يدلّ هذا القول على انهُ قد حُرّم على المسلمين ذبائح اهل الشرك وانهُ لم يحلّل لهم غير ذبائح الموحّدين من اليهود والنصارى . واذا كان الامر على هذا وكان المسلمون مجمعين على ان اكل ذبائحنا حلال وجب على ان يُجمعوا على اننا الموحدون المذكورون في القرآن . ولا يمنع توحيدَنا اقرارُنا بالاقانيم الثلثة . قال القاضي ابو بكر محمّد بن الطيّب المعروف بابن الباقلاني في كتاب التمهيد ما هذا شرحهُ : اعلم انَّ النصارى اذا حقّقنا معهم الكلام في قولهم انَّ الله جوهر ذو ثلثة اقانيم (٥١) لم يحصل بيننا وبينهم خلاف الّا في الاسم لانهم يقولون انَّ الله جوهر لا كالجواهر المخلوقة بمعنى انهُ قائم بذاته والمعنى صحيح وانّما العبارة فاسدة لان الاسماء يُرجع فيها الى اهل اللسان ولم يُطلق عليهِ تعالى احدٌ منهم اسم الجوهر . واذا الكلام معهم في تثبيت النبوّة كاليهود فان كان هذا القاضي يقول مثل ذلك فقد وجب على كلّ من يفضّلهُ ويقبل قولهُ الاعتراف بان النصارى موحّدون

قال الوزير : اما قول ابن الباقلاني فتقليدٌ لم نقبلهُ . واما الاقاويل الاخر التي ذكرتها فقد حسن موقعها في نفسي . ثم انفضّ المجلس الثالث ولله المنة (له تابع)